"رُدَّ ذلك عليَّ إنْ استطعت".

لطالما أعجبتني تلك الجملة والتي هتف بها سيد الشهداء وأسد الله حمزة بن عبد المطلب، بعد أن شج رأس عمرو بن هشام.. أيُّ قوةٍ وصلابةٍ وبأسٍ وثقة، كان يتمتع بها حمزة ليضرب أبا الحكم وسط أنصاره؟!، ثم يتحداه أن يرد عليه الضربة، قبل أن يعلن إسلامه على الملأ.

من الظلم أن نقول إن عمرو بن هشام أو "أبو جهل" ندٌّ لأسد الله، ولكننا هنا نقارن بين موقفين: الأول لفارس نبيل كان يكفي ذكر اسمه لزلزلة أعتى القلوب بأسًا وقوةً وشجاعةً، وأصبح أحد كبار المجاهدين في سبيل الله، على الرغم من استشهاده المبكر، والآخر هو أحكم أهل قريش، ومع ذلك فقد حكمته وصار رمزًا للجهل والكفر.

تربَّى حمزة بن عبد المطلب في كنف والده عبد المطلب بن هاشم الذي كان سيد قريش وبني هاشم، كان حمزة في الجاهلية فتًى شجاعًا كريمًا سمحًا، وكان أشد فتى في قريش وأعزهم شكيمة، فقد شهد حرب الفجار التي وقعت بعد عام الفيل بعشرين سنة، وقد دارت بين قبيلة كنانة التي منها قريش وبين قبيلة قيس عيلان، وكانت حرب الفجار أول تدريب عملي لحمزة بن عبد المطلب، حيث مارس التدريب على استعمال السلاح، وتحمَّل أعباء القتال ومشقات الحروب.

أما عمرو بن هشام، فهو أحد سادة قريش وأحكمهم؛ ولأن عمرو بن هشام كان حكيمًا وذا رأي سديد فقد دخل دار الندوة، وهو لا يزال في الخامسة والعشرين من عمره، لذلك سمي "أبا الحكم"، وكانت دار الندوة لا يجتمع فيها إلا حكماء قريش وشيوخها الذين تجاوزوا

الخمسين من أعمارهم، فكان أبا الحكم، هو الاستثناء الوحيد من تلك القاعدة.

كان حمزة بن عبد المطلب، هو الذي خطب لابن أخيه محمد، خديجة بنت خويلد، فقد روي في الأثر القديم أن خديجة بعثت إلى الرسول محمد -عليه الصلاة والسلام، ثم عرضت عليه نفسها كزوجة، بعد أن لمست صدق وأمانة نسب أشرف الخلق، وكانت أوسط نساء قريش نسبًا وأعظمهم شرفًا وأكثرهن مالًا وعزًا، فلما قالت للرسول محمد ما قالت، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها الرسول محمد، وقيل إن حمزة خطبها من عمها أسد بن أسد، وقيل إن الذي زوجها من النبي محمد هو عمها عمرو بن أسد، وكان عمر الرسول حين تزوج خديجة خمس وعشرين سنة، وقيل إحدى وعشرين، وكان عمرها حينئذ أربعين سنة، وأقامت معه أربعًا وعشرين سنة، وكانت من كبار المساندين لدعوته وأول من أسلم من النساء.

عند ظهور الإسلام ونزول الرسالة السماوية على سيدنا محمد، كان عمه حمزة يرقبه في إعجاب شديد لثباته على موقفه، رغم الترغيب والترهيب الذي مارسه معه سادة قريش وأشرافها، وعلى الجانب الآخر فقد "أبا الحكم" حكمته وحلمه، فسماه عمه الوليد بن المغيرة "أبا جهل"، وذلك لسرعة غضبه، والجهل في لغة العرب ضد الحُلم، وهو العفو عند المقدرة، وقيل أيضًا إن رسول الله هو من سماه بهذا الاسم، لشدة عدائه له وللمسلمين كافة.

أسلم حمزة بن عبد المطلب في السنة الثانية من بعثة الرسول الكريم، وكان سبب إسلامه أن أبا جهل عمر بن هشام المخزومي

القرشي، اعترض الرسول عند جبل الصفا، فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له، فلم يكلمه الرسول ومولاه لعبد الله بن جدعان التيمي القرشي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد لقريش عند الكعبة فجلس معهم، لم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحًا قوسه راجعًا من قنص له، وكان إذا فعل ذلك لا يمر على نادٍ من قريش، إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز قريش وأشدها شكيمة، وكان يومئذ ما زال مشركًا على دين قومه، فلما مرَّ بالمولاة قالت له: ما حدث لابن أخيه من أبي الحكم بن هشام، فاحتمل حمزة الغضب وخرج سريعًا لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت معدًا لأبي جهل أن يقع به، فلما دخل عليهم نظر إليه وهو جالس في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه به وشج رأسه، حتى سالت الدماء منها وهو يقول: "أتسب محمدًا وأنا على دينه.. أقول ما يقول وأفعل ما يفعل.. ردَّ ذلك عليَّ إن استطعت".. قامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، فوقف أسد الله بينهم وأعلن إسلامه وقال الشهادة، وتم حمزة على إسلامه وعلى ما بايع عليه الرسول من قوله، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن محمدًا، قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه، خوفًا من حمزة.

بعد إسلام حمزة، قويت شوكة المسلمين، وأخذ حمزة يعلن دينه في كل مكان ويتحدى أبطال قريش ومنهم عمر بن الخطاب، حيث إن عمر بن الخطاب لما أراد أن يسلم أخذ سيفه، فتوشحه ثم عمد إلى الرسول وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب الرسول، فنظر من خلل الباب فرآه متوشحًا السيف فرجع إلى الرسول وهو فزع من عمر، فقال له حمزة أن يدخِله، وإذا

أراد شرًا فسيقتله بسيفه، فدخل عليهم عمر وأسلم فكبَّر سيدنا محمد تكبيرًا عرف أهل البيت، أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب الرسول من مكانهم، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة.. هذه القصة تدل على شجاعة حمزة، فقد كان عمر مشهورًا بالشدة والبطش، وبعد إسلام عمر خرج المسلمون إلى شوارع مكة جهرة وكانوا بصفين، أحدهما يتقدمه عمر والثاني حمزة، فبإسلامهما عز الإسلام والمسلمون.

لم يستطع سادة قريش التعرُّض لنبي الله بعد ذلك، فكانت خطة القتل حين اقترح أبا الحكم أن يأخذوا من كل قبيلة فتًى شابًا جلدًا نسيبًا وسيطًا، ثم يعطوه سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إلى سيدنا محمد فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه فيتفرق دمه بين القبائل جميعًا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا فرضوا بالدية، لكن الله -عز وجل- أنجى نبيه من تلك المكيدة الماكرة.

بعد هجرة الرسول إلى المدينة المنورة، آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، وقال: "تآخوا في الله أخوين أخوين".. ثم أخذ بيد على بن أبي طالب فقال: "هذا أخي".. فكان الرسول محمد وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة الكلبي، مولى الرسول أخوين.

شهد أسد الله حمزة بن عبد المطلب غزوة بدر، وأبلى فيها بلاءً عظيمًا، كان حمزة بن عبد المطلب هو الذي ابتدأ قتال المشركين في غزوة بدر، فقد خرج رجل من جيش قريش هو الأسود بن عبد الأسد المخزومي، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إليهم، فأتبعه حمزة فضربه حتى قتله

في الحوض.. ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف، دعا إلى المبارزة فخرج إليه ثلاثة فتية من الأنصار، وهو عوف بن الحارث ومعاذ بن الحارث وعبد الله بن رواحة، فرفض فرسان قريش مقاتلتهم، وطلبوا من سيدنا محمد أن يرسل آخرين، فقام لهم عبيدة بن الحارث وعلي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب، فبارز عبيدة، وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة.. وبارز حمزة شيبة بن ربيعة.. وبارز على الوليد بن عتبة فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، فكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة، فأسرعا بقتله.

أما عمرو بن هشام أو أبا جهل، فقتل يوم بدر على يد معوذ ومعاذ أبناء عفراء، وقد كانا في حوالي السادسة عشر من عمرهما، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود، حيث قطع ابن مسعود رأسه وحمله إلى رسول الله، وقد قطعت أذنه فضحك الرسول وقال: "أذنٌ بأذن والرأس زيادة"، حيث قطع أبو جهل ذات مرة أذن ابن مسعود.

استمر أسد الله في جهاده بعد ذلك حتى استشهاده يوم أحد على يد العبد وحشي، ليبكيه رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه هو والمسلمين جميعًا.. رحم الله سيد الشهداء وجمعنا به على خير.